

لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة التفكير في الدور الذي قد تلعبه الرياضة التنافسية في إعادة بناء الهوية لدى الأشخاص المصابين حديثا بإعاقة حركية (حالات بتر الأعضاء)، وإشكالية الهوية تظهر حينها في قلب مسار التكيف الاجتماعي أو عديمه، إن سياق تطور الهوية على نحو تدريجي وفقا لمناطقها الخاص والذي يتجسد في العمليات النفسية والاجتماعية، يتم من خلالها إعادة تنظيم وتعبير بدون توقف وذلك حتى تكون فيه الهوية قادرة على تحديد خصوصية الشخص وذاته أمام عالمه الداخلي والخارجي المتغير. تتموقع إشكالية الهوية أولا على المستوى الجسمي، فعلاقة الشخص بذاته هي علاقة جسدية وعلاقة بغيره من الذات هي أيضا علاقة جسدية. من خلال هذا المنظور الانيامي للهوية، فالتكيف بالنسبة للشخص المعاق يتطلب إعادة بناء وتنظيم للهوية، يمر فيها الشخص من تفهقر جسدي يولد تفهقرا نفسي مع فقدان الهوية الجسدية، النفسية والاجتماعية. هذا يتركز تتسأل عن أحداث ووقائع التطور السيكولوجي والاجتماعي للشخص المعاق والذي له تأثير في سير عملية تكوين الهوية وإعادة بنائها ضمن منطق تجاوز الإعاقة، باعتبار الرياضة التنافسية حلقة من الحلقات الطويلة في الجانب العلاجي وهي خطوة تساعد في تدعيم الإحساس بالهوية والوصول إلى مشروع الاندماج والتكيف من خلال إعادة تسجيل الشخص المعاق رمزيا في تفضيلات الجسم النشاط والفعال وبالتالي تكوين صورة إيجابية للجسم. وكذلك باعتبار الرياضة اختبار للواقع والذي من خلال الحركة (التحكم في الجسم والذات)، الاستقلالية ونتائج الممارسة تساهم في إحساس جديد بالهوية.

هناك تعددية أجساد كما هناك تعددية ثقافات، فالجسد عبارة عن بناء اجتماعي وثقافي لم تعطى حقيقته النهائية مطلقا، انه يشبك تجلياته ومكوناته بالرمز الاجتماعي (1)، إذن إدراك الجسد والشخص يتنوع حسب الثقافات، هذا الجسد الذي يدخل في جميع الأعمال التي يقوم بها الأشخاص وهو مكان إسقاط لمجموعة معتقدة من المعاني الجسدية والروحية، الشخصية منها والاجتماعية (2)، وقد تبوأ الجسد حيزا جوهريا في بنية الثقافة العربية الإسلامية بوحى به حرصا على نسج قيم اجتماعية وسياسية وأخلاقية ودينية على أساس إرادة الحياة واستيعاب جذوة العرائز وقبول الإنسان بشقيته: الروحاني والجسماني في الدنيا والآخرة (3). فالفرد يصل إلى هذا العالم وهو كيان يميز في خضوع لخصائص النمو وقوانينه العامة، والتي تسير إلى الأمام متجهة نحو تحقيق غرض ضمني هو النضج، ومع استمرارية العملية المائية وتعقدتها والتي تشمل على كافة الجوانب التي تشكل نبيان الإنسان سواء كانت جسمية، عقلية، انفعالية وجدانية أو اجتماعية، يبدأ الفرد في تكوين نظرة نحو ذاته تتضمن أفكارا واتجاهات ومعاني ومدرجات حولها، وتعتبر أدق يكون الفرد مفهوما حول ذاته، كما يكون أيضا، في الآن ذاته، أفكارا ومشاعر وإدراكات حول جسمه وتنمو لديه صورة ذهنية حول جسمه متضمنة جميع الخصائص الفيزيائية والوظيفية، وكذلك الاتجاهات نحوها، وهذا ما يطلق عليه **صورة الجسم**. فصورة الجسم وما تتضمنه من أفكار ومشاعر وإدراكات تندرج تحت لواء مفهوم الذات، وتشكل بعدا من أبعاده الأساسية لاسيما أنها تتضمن صفات وخصائص تشكل من مجملها مكونا من مكونات مفهوم الذات وعلى هذا فإنه إذا كانت هناك متغيرات متشابهة، سواء كانت نفسية داخلية أو بيئية خارجية، تعوق قدرة الفرد على التواصل الفعال والتوافق السليم مع بيئته ومحيطه، فإن صورة الفرد السلبية نحو جسمه أو عدم رضاه عنها، قد يكون أحد هذه العوامل التي تعوق التوافق مع ذاته وبيئته المحيطة في الآن ذاته، وقد يكون هذا سببا في معاناته من اضطرابات سلوكية تعكس عدم اتزانه وسوء توافقه (4)، وقد يعاني الشخص المعاق من مشاكل عديدة تتعلق بسوء التكيف وتظهر من خلال علاقاته بنفسه وعلاقته مع البيئة المحيطة به والوسط الاجتماعي الذي يحيا فيه، وقد يتعرض المعاق أثناء تفاعله مع هذه الظروف إلى أنواع من الإحباط والقلق والضراعات النفسية الداخلية أو يعود إلى مشاكل وصعوبات في تكوين الهوية وكذلك فقدان له المعاملة الجسدية والذي يؤدي به للإحساس بالخط من قيمته. تتموقع إشكالية الهوية أولا على المستوى الجسمي حيث أن النمو الجسمي والتكيف معه يؤدي إلى تكوين صورة جديدة للجسم، كما يفترض أنه توجد علاقة بين صورة الجسم و بين التوازن النفسي (5).

إن الوضع الشرعي عبارة عن وضع جسدي، لا يمكن تمييز الإنسان عن جسده الذي يعطيه عمق وحساسية كينونته في العالم، إن وضع المعاقين جسديا والقلق المتفشي الذي يولده فيهم والموضع الهامشي الذي ألوا إليه يسمح بوضع حدود **لتحرز الجسد**. وإذا وجد هناك جسد متحرر فإنه عبارة عن جسد شاب، جميل، قوي، نشط، وغير قابل للنقد. فيزيولوجيا (6). فالجسد موضوع ملائم بشكل خاص للتحليل الأنثروبولوجي، لأنه ينتمي جنسا إلى التكوين الذي يحدد **هوية الإنسان**، فبدون الجسد الذي يعطيه وجهاء، لن يكون الإنسان على ما هو عليه، وستكون حياته اختزالا مستمرا للعالم في جسده، غير الرمز الذي يحسده، فوجود الإنسان عبارة عن وجود جسدي، والمعاينة الاجتماعية والثقافية التي يعد موضوعا لها، والصور التي تتكلم عن عمقه المخيا، والقيم التي تحرقه. تحدثنا أيضا عن الشخص وعن المتغيرات التي يمر بها تعريفه وأنماط وجوده، إن الجسد عبارة عن سور موضوعي لسيادة الأنا، إنه الجزء الذي يتعذر قسمته من الشخص، وهم عامل تفرد بالنسبة إليه (7).

يمتلك الشخص قبل أن يصاب بالإعاقة الحركية مجموعة من **المثيلات (Représentations)** والتصورات في داخل الرمزية العامة للمجتمع التي تحدد وظائفه اليومية و توضح علاقاتها وتحدد موقعه وسط الكون أو بيئة الجماعة البشرية، هذه المعرفة المطبقة على الشخص هي معرفة ثقافية تسمح بتحديد موقعه تجاه الطبيعة والناس والآخرين عبر نظام القيم السائدة في المجتمع، لكن هذا الواقع غير المرغوب فيه جراء الإعاقة يوقظ فينا قلق "**الجسد المدمر**" الذي يصعب إعادة الأولوية للعديد من الكوابيس الفردية والتي لا تنحوا منها أية جماعة بشرية، إن بتر الأعضاء والشلل وبطء الحركة عبارة عن صور نموذجية لهذا الكابوس (8). فالتغير الحادي في وضع الجسد على مستوى الخطاب الاجتماعي ولد لدى المرء شعورا بالمتعة والزفافية ولكن من دون أن تتداخل في التحكم المنصب عليه النماذج الجسدية تغير مرغوبة مثل: العجز والإعاقات المحتملة، إذن فالجسد لم يجر اليوم إلا صريقة مجرأة و مقطوعة عن الحياة اليومية، فالخطاب المعتمد في الجسد اليوم يشهد بتدهور الذات لدى أولئك

الأشخاص الذين لا يستطيعون لأي سبب كان إنتاج إشارات الجسد المحرور، فهذا يغادي فيهم الشعور بأنهم مستبعدون ومحتقرون بسبب صفتهم الجسدية، هذا المعنى يمكن القول بأن تحرر الجسد، أن يكون فعليا إلا عند احتفاء "هم الجسد" (9).

إن مكانة الإنسان ودوره في المجتمع تعطيه قيمة واعتبار، هذه المكانة التي تعني مجموعة التكليف (الواجبات، الحقوق، الصلاحيات، الامتيازات... إلخ) المتعلقة بوضعية ما يشغلها فرد داخل بيئة اجتماعية والتي يتحدد من خلالها سلوكه وموقف الآخرين نحوه، أي أن المكانة تكشف لفرد عن قيمته كما يتصورها الآخرون (10). هنا تصموح إشكالية الإعاقة والتي توحى لنا ذلك اللباس الذي ينبغي رفعه، فالتقيد والتميزات الاجتماعية المتصلة بالقوة، الجمال، النشاط وكذلك الأداء (Performance) أصبحت عبارة عن نموذج غير نافعة، لأن الإعاقة قتل الاختلاف (La Différence) الذي ينبغي تحنيه والابتعاد عنه وتعبئاً أو رمزياً (11).

إن الجسد الشاذ يتحول إلى جسد غريب، كثيف في إحباطه، إن استحالة القدرة على التفاعل جسدياً معه (بسبب وهته وفوضى حركاته أو شيخوخته وبشاعته، إلخ) يمكن في أصل كل الأضرار التي يمكن أن يحصلها فاعل اجتماعي، إن الاختلاف يتحول إلى وصمة تتأكد بصرامة، بل هذا الحد أو ذاك (12).

إن الشخص المصاب بإعاقة حركية أو حسية يشر بمحدد حضوره إحراجاً وخيرة في التفاعل معه، إن الديناميكيات المانع للكلام أو للجسد، يتفحص فحاة، ويستخدم بالكثافة الحقيقية أو المتصورة لجسد الآخر، ويولد التساؤل حول ما يسعى أم لا فعده معه أو قوله به، ويكون التناقض أكثر حيوية كلما كانت الصفات الجسدية للشخص أقل تشبيهاً على تشبهه به، لقد جعلت المرأة وتعد بعيداً إلا صورة مقطوعة (13).

إن مصدر كل قلق يكمن بدون شك في استحالة قادم النفس في الآخر، والتشبه، بأى طريقة كانت، بما يجتده في عظم جسده، أو في سلوكه، إن هذا الآخر يكلف عن أن يكون المرأة المطلقة للهوية الذاتية. إنه يفتح ثغرة في الأمن الأنطولوجي الذي ينسجه النظام الرمزي وهذا يندرج بعكس المجتمعات التي لا تحافظ على أي حكم مسبق تجاه العجز وتامع الأشخاص الذين يشكون منه في قلب لتبادل الرمزي، من دون أن تأخذ منهم أي شيء، إنما تنصرف من خلال أسلوب الاستبعاد تجاه هذه الفئات (الإعاقة، الشيخوخة، إلخ...) وذلك بفك رموزها وتخصيصها علامة سلبية. عندما تقوم هذه المجتمعات بإدراجها بصفاتها شريكاً خاصة كاملة في التفاعل الحسن والقبول (14).

يتضح لنا اليوم من خلال النتائج المنسوبة التي شهدتها رياضة المعاقين في الجزائر، تطوراً وتقدماً كبيرين سواء في مستوى الأداء الرياضي أو في ارتقاء الأرقام القياسية والملاحظ في هذا التصور أن رياضة المعاقين تلتزم بنفس قواعد الأداء، فهي تستخدم نفس المتطلبات ونفس المنطق الخاص بالمنافسة الرياضية عند الأصحاء وذلك بالتدريب المكثف والمنظم، باختلاف التقنيات، الوسائل، التقسيمات الفنية وقوانين الأداء التي تم تكيفها لتوفير عدالة المنافسة الرياضية (15). فرياضة المعاقين تعمل نفس فلسفة المنافسة الرياضية لدى الأصحاء، فهي تحترم إيدولوجيا المساواة في الفرص (Egalité des chances) وذلك بالسماح للجميع بتحقيق الأداء والفوز. وهنا تكمن الأهمية الكبيرة للمنافسة الرياضية لدى الأشخاص المعاقين والتي ترسي ذلك الشعور بالقيمة والمكانة كونهم أفراد مثل الآخرين وتساعدهم على إعادة التسجيل رمزي في تمثيلات الجسم النشط والفعال، هذه التمثيلات تكتل وظيفة اجتماعية تساعد الأفراد المعاقين على الاتصال فيما بينهم داخل الفريق وكذلك مع الآخرين، فهي تولد الاتجاها والاراء والسلوكيات فيما يخص الأداء والمنافسة، ولها أيضا دور في تحديد مكانة الرياضي المعاق في السجل الاجتماعي وتسمح بتكوين الهوية الذاتية والاجتماعية المتلائمة مع نسق القيم والمعايير السائدة التي تعاد اجتماعيا وتاريخيا مقبولة ومحددة. وبكنا هنا إعطاء مثال للاتجاه الاجتماعي في ميدان العمل، بالنسبة للشخص المعاق، أين يتم تشجيعه وتقدير مجهوداته في أعماله المنجزة وذلك بحسن الالتفات والملاطفة، بينما نجد أن هذا يختلف تماما في الميدان الرياضي، أين يكون تصنيف الأداء ضمن إطار الرياضي وليس ضمن إطار المعاق (16).

(« Handicap » prime sur celle de « Sportif » la Catégorie « la » وفي هذه الحالة تسقط جميع الخواص السيكموسولوجية التي تقي الشخص المعاق في سفة "العجز مكيف" Inadapté، فالحركة ونتائج الممارسة تحي شبح الإعاقة، إذن فالأداء الرياضي والمنافسة يساهمان بقوة في بناء الهوية لدى المعاق حركيا وذلك بتعزيز موقعه بالنسبة للآخرين في شبكة العلاقات داخل المجتمع. فالحوية يمكن أن تكون في تصورنا نتاج التوازن الناجم عن الأداء السليم لمجموعة الأدوار التي تجعل الشخص يتصور نفسه كجزء من مجازيا وتعطيه شعورا داخليا يدرك من خلاله ماهيته. كذلك فالمنافسة الرياضية بالنسبة للشخص المعاق تمثل نموذجاً قويا يثير الاهتمام والتشجيع الكبيرين لأنه يستدعي إنتاج أحسن أداء للوصول إلى مستوى الخصم والنجاح في المنافسة أكثر من أي شكل من أشكال المنافسة في الميادين الأخرى (17). مع لشعور الحادي بأنه فرد وذات قبل أن يكون عضوا في جماعة، يصبح الجسد الحد الدقيق الذي يعين الفرق بين إنسان وآخر، إنه عبارة عن عامل تفرد (18).

إن الشخص الذي يعاني من إعاقة لا ينظر إليه، باعتباره إنساناً بحصة كاملة وإنما عبر المشوش المشوه المثير للشفقة وللإعجاب وذلك في المجتمعات الحديثة، إن شاشة نفسانية تعصب بينهما فالحديث لا يجري عن الإعاقة، وإنما عن المعاق، كما لو كان من جوهره كشخص أن يكون معاقاً، أكثر من أن يكون لديه إعاقة، إن الإنسان يختزل هنا في حالة جسده فقط، والمطلوح كمطلق، إنه يستنتج بشكل ما، من الطريقة التي يظهر بها جسده اجتماعيا، إن الإنسان المعاق لم يعد ينظر إليه باعتباره شخصا قاعلا يعطي معنى ويخيط لوجوده، ولكن باعتباره يمتك شفا أقل وزنا من الآخرين (19).

خلاصة:

كأنما كان الفرد منغمكا في أداء دوره بكل فعالية وإتقان، كلما ساهم في ساء هويته، لأن ذلك يعزز موقعه بالنسبة للآخرين في شبكة العلاقات داخل المجتمع، فالانغماس بالنسبة للرياضي المعاق داخل الفريق يتولى عنه نتائج مرتبطة مباشرة بالاعتراف بالهوية الذاتية والاجتماعية، لأن ارتباطه هذا في الميدان الرياضي يعزز تلك المظاهر الانجابية هويته وتقوي شعوره بالتقدير لذاته، لا يمكن للرياضة أن تساهم بشكل فعال في الاندماج الاجتماعي بالنسبة لشخص المعاق حركيا إلا من خلال سبب واحد، تدرجيا ممارسة نفس الرياضة الخاصة بالأصحاء، أين يتم إدراجهم ضمن المنطق الرياضي النخبوي الذي يتأسس بالرياضة التنافسية، وبكأنما أن تشير إلى أن الأداء الرياضي الشحز من قبل أشخاص مصنفون كونهم "معاقين" لا يعتبر في حد ذاته إنجازا ذو قيمة، بل يرجع هذا الاستحقاق في الأداء كونه يثير الدهشة والتعجب لأنه مخرج من قبل "جسد ناقص و ضعيف" (un corps Diminué) (20) فالمعاق حركيا يحتل في الإدراك الحسي المشترك، في جسده فقط، وهو مرتبط بسطه خارج الميدان الرمزي بإقصائه من نظام التعامل والتفاعل مع الآخرين، أنه يخفق في فهم المركزية للحدث: الحيوية، العمل، القوة... أنه تحسيدا للمكبوت وتذكيرا بالنداء هس، يوضع البشري، أنه الصورة الغير مسموح بها في مجتمعات تمارس عبادة الجسد، يكسنا نقول حسب تعبير (le Breton) أن الإعاقة تثن نقطة تعثر للحدادة و التقدم (21).

وجب علينا أن نذكر أن رياضة بصفة عامة ليست عبارة عن وسيلة علاجية في حد ذاتها بل هي عبارة عن حلقة من الحلقات الدلوية في جانب علاجي وهي خضوة في تدعيم الإحساس بالهوية و الوصول إلى مشروع الاندماج والتكيف بالنسبة للفرد المعاق، فالرياضة عبارة عن وسيلة في أيدي المختصين في مجال رياضي حيث استعداها والعمل بها ليس الإصر المناسب لها وذلك خدمة لأهدافها الحقيقية.

قائمة المراجع:

- 1) توبرتون دافيد، ترجمة محمد عرب صاصيلا، التروبولوجيا الجسد، وحدانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1997.
- 2) لغول فتحي، دور النشاط البدني الرياضي في إعادة بناء الهوية لدى معاق حركيا، مأكرة ماجستير في نظرية ومنهجية التربية البدنية والرياضية، جامعة الجزائر، 2006-2005.
- 3) العنوي هشام، الجسد بين الشرق والغرب، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2004، ص79.
- 4) الكفائي علاء الدين، صورة الجسم وبعض المتغيرات الشخصية، دار المعرفة، الجامعية، 1995.
- 5) السيد عبد الرحمان محمد، مقياس موضوعي لثابت الهوية، دار فناء للنشر، القاهرة، 1998.
- 6) محمد مسيم، مقدمة في علم نفس الاجتماعي، دار قرطبة، دار قرطبة، الخمدية، الجزائر، ط1، 2007.
- 7) LIOTARD Philippe, Quelles sont les significations de la performance sportive pour les personnes handicapées?, Support de cours Univ Montpellier: Anthropologie de la performance, 2001.
- 8) Le Breton David, Aspect anthropologique des activités physiques et sportives adaptées, in revue de psychologie du sport, questions actuelles, ouvrage coll, Paris, 1995.
- 9) ROIMER Odil, Les affects dans la perception du handicap physique, in revue de sciences humaines et sociales, n°86, 2000.
- 10) A.Bernard, Anthropologie sociale, dound. 1998. p35.